

مشروع محمد علي باشا لاحتلال الجزائر 1829، وردود الأفعال الدولية

Mohamed Ali Pasha's occupy Algeria project to in 1829, and international reactions

عزالدين بن سيفي،

المركز الجامعي أحمد صالح النعامة ،

azzedinebensifi@gmail.com

تاريخ القبول: 2025/11/23

تاريخ الاستلام: 2025/05/03

ملخص:

تعالج هذه الدراسة التاريخية؛ موضوع مشروع محمد علي باشا المصري لاحتلال الجزائر سنة 1829، والمواقف الدولية منه، وقد حاولنا فيه الإجابة عن بعض الأسئلة ومنها؛ ما محتوى هذا المشروع الفرنسي المصري؟ وكيف كان موقف الدولة العثمانية منه؟ ، وما هي ردود أفعال الدول الأوروبية اتجاهه؟.

وقد كان الاعتماد في هذه الدراسة على المنهجين التاريخي والوصفي، مع التركيز على المنهج التحليلي، في ما تبقى من عناصر البحث. وتهدف هذه الدراسة أولاً إلى التعريف بهذا المشروع الذي حاول من خلاله الباشا المصري محمد علي، بالتنسيق مع الحكومة الفرنسية احتلال الجزائر، وإبراز أهم تداعياته على الساحة الدولية وقتئذٍ، مع تبين مواقف القوى العالمية من المشروع، وقد توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها المعارضة الشديدة للدولة العثمانية، رفض كل من بريطانيا، والنمسا، والفتيكان، وتأييد الإمبراطورية الروسية، وبروسيا للمشروع.

الكلمات المفتاحية: مشروع، محمد علي، احتلال، الجزائر، فرنسا.

Summary :

This historical study examines international positions on the Egyptian project to occupy Algeria in 1829. We attempt to answer several questions: What was the content of this French-Egyptian project? What were the Ottoman Empire's positions on it? Did the European countries approve of the project? We adopted the descriptive historical approach, with an emphasis on the analytical and comparative approaches. This study aims, first, to define this historical Egyptian-French conspiracy to occupy Algeria. It also aims to highlight its most significant repercussions on the international scene at the time, while clarifying the positions of the global powers on the project. We reached several conclusions, the most important of which are the opposition of the Ottoman Empire, the rejection of the project by Austria, and Britain, and the support of Russia and Prussia.

Keywords: Project; Mohamed Ali; Occupation; Algeria; France.

عز الدين بن سيفي، azzedinebensifi@gmail.com

أولاً. مقدمة:

أكدت مصرُ حضورها على المشهد الجيوسياسي العالمي مطلع القرن التاسع عشر، بفضل سياسة واليها -الباشا محمد علي- الذي استطاع في فترة وجيزة من الحكم، أن يُعيد لمصر مجدها الغابر، وذلك بعد ثورة من الإصلاحات مست مختلف المجالات والميادين، ولعلَّ استحداث جيش مصري عصري من عامة الشعب، كان أهم تلك الإصلاحات، فبفضل هذا الجيش العصري المدرب والمنظَّم على الطراز الأوروبي، استطاع قائد الجيش -إبراهيم باشا أكبر أبناء محمد علي- من حسم الكثير من المعارك مع خصومه في الحجاز، والسودان، وقبرص، واليونان.

وفي المقابل كانت الدولة العثمانية تعيش أوضاعاً صعبة، ومرحلة متقدمة من الضعف -الذي أصابها- منذ مطلع القرن التاسع عشر، ضعف كان نتيجة مجموعة عوامل داخلية وخارجية متداخلة، كاتساع رقعة الدولة، وارتفاع نفقات تأمينها، وضعف الجيش البري، ولاسيما بعد القضاء على الانكشارية في واقعة المذبحة سنة 1826، وتراجع قوة الأسطول البحري الذي فقدت أغلب قطعه في نافرين 1827، علاوة على كثرة الثورات الداخلية والتمردات، على غرار ثورة جزيرة مورا في اليونان (1821 – 1827)، كما تكالبت عليها الأمم المجاورة، حيث دخلت في حرب مع الإمبراطورية الروسية الطامحة للوصول إلى المياه الدافئة للمتوسط، وحينها بدا لمحمد علي أنّ الوقت أصبح سانحاً لتأسيس إمبراطورية عربية مركزها مصر، وحتى يتمكن من تحقيق هذا الطموح، كان لزاماً عليه بداية، أن يضمّ ما يجاوره من أقاليم إلى حدود ولايته.

لقد تزامنت تلك الرغبة في التوسّع، مع ظهور أزمة في العلاقات بين الجزائر وفرنسا، والتي بدأت فصولها بعد حادثة المروحة، بين الداي الجزائري حسين باشا، وقنصل فرنسا دوفال DEVAL، ثمّ تطورت هذه الأزمة إلى حصار بحري فرنسي على السّواحل الجزائرية، ولكن أمام النفقات العسكرية الكبيرة، وطول أمد الحصار دون نتائج ملموسة، حاولت الحكومة الفرنسية إقناع الداي حسين بالتفاوض من أجل الصلح، وفي هذا الوقت اجتمع السفير الفرنسي بالإسكندرية، لانقاذ بلاده من هذه الأزمة الدبلوماسية، بمساعدة والي مصر الباشا محمد علي، الذي أظهر رغبته في ضم تلك البلاد إلى سلطته. إن قدّمت الحكومة الفرنسية الدّعم اللازم، ومن هنا كان ميلاد فكرة المشروع المصري الفرنسي لاحتلال الجزائر.

-فما محتوى هذا المشروع؟

-وما المواقف الدولية منه ؟

وللإجابة عن هذين السؤالين، اعتمدنا المنهجين التاريخي، والوصفي، من أجل إعادة رسم ملامح الموضوع محل الدراسة، وذلك من خلال تتبع الأحداث التاريخية، والوقائع، وترتيبها وفق سياقها الكرونولوجي، دون الإخلال بالإنسجام الموضوع، ولفهم صحيح لموضوع الدراسة أيضاً، -المؤسس على مواقف- اعتمدنا المنهج التحليلي، من أجل تحليل هذه المواقف الدولية وتقييمها.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بهذا المشروع -الذي حاول من خلاله والي مصر الباشا محمد علي سنة 1829، بالتنسيق مع الحكومة الفرنسية بقيادة رئيس وزرائها بولنيك Polignac احتلال الجزائر-، كما تسعى أيضاً إلى إبراز أهم المواقف الدولية منه.

ثانياً. لمحة عن مشروع محمد علي لاحتلال الجزائر 1829

كان السفير الفرنسي بمصر السيد برناردينو دروفيتي Bernardino Drovetti ، يحظى بصداقة مميزة، مع الباشا محمد علي، وقد مكنته هذه الصداقة الطويلة معرفة سياسة الباشا، وخطته المستقبلية، ومنها رغبته في التوسع نحو المشرق، فعمل دروفيتي على توجيه بوصلة محمد علي نحو المغرب⁽¹⁾، وعرض عليه خطة لاحتلال الإيالات المغاربية الثلاث، وبعد موافقة محمد علي على مقترح السفير الفرنسي، استقبل رئيس الوزراء الأمير بولنيك Polignac بمكتبه أواخر شهر سبتمبر 1829، السيد دروفيتي، والجنرال ليفرون Livron وهو فرنسي الأصل، يخدم لصالح الجيش المصري، ممثلاً للباشا محمد علي، من أجل عرض مشروع عسكري لاحتلال الجزائر⁽²⁾. وقد تمثل هذا المشروع، في تقديم الدعم المادي واللوجستي، لباشا مصر من أجل تنفيذ حملة عسكرية برية لاحتلال الإيالات الثلاث طرابلس الغرب، تونس، والجزائر⁽³⁾، وتصبح هذه البلاد ولاية واحدة يحكمها الباشا إبراهيم بن محمد علي، تحت سلطة الدولة العثمانية، ومن جهته

رحب بولنيناك بالفكرة لاسيما أمام الوضع الذي كانت تعيشه فرنسا من عدم القدرة على توجيه حملة عسكرية على الجزائر بمفردها، فالمشروع سيخرجه من عنق الزجاجة بأقل الأعباء⁽⁴⁾.

وحتى يُعطي بولنيناك للمشروع طابعاً رسمياً، عرضه يوم 09 أكتوبر 1829 على مجلس الوزراء، ورغم المعارضة التي لقيها المشروع في البداية، صوت المجلس بقبول العرض، ثم أطلع الملك شارل العاشر Charles X على المشروع، الذي صادق عليه يوم 12 أكتوبر⁽⁵⁾، ومن أجل استكمال المفاوضات في شأن المشروع، أوفد بولنيناك الكولونيل هودر Huder إلى مصر، حيث انتقل المبعوث الفرنسي على متن السفينة إكليبس Eclipse التي غادرت ميناء طولون يوم 3 نوفمبر، ووصلت يوم 16 نوفمبر إلى الاسكندرية⁽⁶⁾ وبعد أسبوع من نزول المبعوث الفرنسي بالاسكندرية، عُقد اجتماع سري بذات المدينة؛ بين الطرفين، حضره عن الجانب المصري، الباشا محمد علي، ووزير خارجيته بوغوص بيك، أما الجانب الفرنسي فمثله القنصل الفرنسي ميمو Mimaut الذي خَلَفَ دروفيتي، والكولونيل هودر. وبدأت المفاوضات بين الفريقين، باستعراض الباشا محمد علي، لما عنده من قوات في سبيل إنجاح الحملة العسكرية على الجزائر، والمقدرة بـ 40 ألف مقاتل، منهم 20 ألف من النظاميين، ومثلهم من غير النظاميين من البدو، حيث يتولى الباشا إبراهيم قيادة الحملة البرية، والباشا أحمد قيادة الأسطول البحري. واشترط والي مصر، على الحكومة الفرنسية إقراضه 4 ملايين تلاري، ما يعادل 10 مليون فرنك، يتم تسديده في مدة عشر سنوات بمقدار العشر كل سنة. كما اشترط أيضاً على الحكومة الفرنسية تسليمه أربعة بوراج حربية سعة 80 مدفعاً. كما طالب الباشا فرنسا بتوفير الحماية اللازمة في حال تعرض لعدوان دولي، وبخاصة من بريطانيا⁽⁷⁾. التي كان متأكد من معارضتها للمشروع.

ومن جهته أبدى الجانب الفرنسي موافقته، على عرض الباشا، ولكن الكولونيل هودر تحفظ بشأن البوارج الحربية، وعقّب على هذه المسألة بأنه لا يحمل صلاحيات الرد على هذه النقطة. ومما يجدر الإشارة إليه هنا أنّ هودر راسل بولنيك ليطلععه على سير المحادثات. حيث كان رد بولنيك بعد أن أثنى على هودر بأنّ الحكومة الفرنسية مستعدة أن تقدم الدعم الكافي لمصر من أجل إنجاح المشروع.

وفي اليوم الموالي عُقد اجتماع ثانٍ حضره اللّواء عثمان والوزير بوغوص، والكولونيل هودر، من أجل الحديث عن تفاصيل الحملة، وخطة سيرها، إذ اتّفق الطّرفان أن تكون الحملة في فصل الربيع من السنة المقبلة، أي في حدود شهر أفريل 1830. حيث تنطلق الحملة البرية من الجيش غير النظامي، اتّجاه طرابلس الغرب، وينطلق بالموازة مع ذلك أسطول بحري ينطلق من الاسكندرية يحمل الجيش النظامي، من أجل حصار وتطويق العاصمة الليبية، ثم الإنزال بالقرب من مدينة طرابلس، ومن ثمة يتم عزل الباشا يوسف القرمانلي، وبعد نجاح الحملة، ينطلق الجيش البري -الذي يصبح أكثر عدداً بانضمام القوات الليبية، والقبائل الصّحراوية-، نحو تونس التي ستخضع بسهولة، ومنها عبر الحدود تتقدم الجيوش مجتمعة نحو الجزائر لإتمام عملية الاحتلال.

واشترط من جهته الباشا أن لا تتدخل فرنسا في عملية الغزو. ويبدو أن الباشا كان يريد من خلال هذا الشرط أن تأخذ الحملة مظهراً إسلامياً، لأن ظهور القوات الفرنسية في حملة محمد علي، سيثير عصبية المسلمين، كما طالب بأن تكتفي فرنسا بالمراقبة من بعيد في عرض البحر، خوفاً من تدخل الدولة العثمانية أو بريطانيا⁽⁸⁾.

ثالثاً. موقف الدولة العثمانية وطرابلس الغرب

1. موقف الدولة العثمانية:

كانت الدولة العثمانية -في خضم هذه الأحداث- الخلافة الفرنسي الجزائري- تحت حكم السلطان محمود الثاني (1808-1839)، الذي ورث تركة مثقلة بالمشاكل، والقلق، ومنها حركة أنصار محمد بن عبد الوهاب بالحجاز، وتمرد الإنكشارية باسطنبول 1826، وثورة اليونان التي كان من نتائجها تحطم الأسطول العثماني في نافرين 1827، والحرب مع الإمبراطورية الروسية التي تقدمت جيوشها نحو الأراضي العثمانية سنة 1829. ولا شك أن هذه المشاكل قد أضعفت القدرات العسكرية للدولة.

ورغم هذه المشاكل الداخلية والخارجية، كانت الدولة العثمانية تتابع تطورات الأزمة، وبخاصة بعد توقيع معاهدة أدنة مع الإمبراطورية الروسية، حيث وجه السلطان العثماني السيد الحاج خليل أفندي في مهمة من أجل إقناع الداي الجزائري بالصلح مع فرنسا، حيث انطلق هذا المبعوث مطلع شهر نوفمبر 1829، من ميناء أزمير على متن باخرة انجليزية، اتجاه العاصمة الجزائرية⁽⁹⁾.

وفي الوقت ذاته كان المبعوث العثماني في مهمة إلى الجزائر، حاولت الحكومة الفرنسية عن طريق سفيرها بإسطنبول السيد قيو مينو Guillemiot، أن تأخذ موافقة السلطان على المشروع، دون أن يعلم هذا الأخير، بوجود اتفاق مسبق بين الباشا محمد علي، والحكومة الفرنسية، لأن المشروع كان حتى هذا الوقت سراً بين الطرفين، ولم تُطلع الحكومة الفرنسية أي دولة، سوى الإمبراطورية الروسية⁽¹⁰⁾.

ومن أجل تحقيق هذه المهمة قابل السفير الفرنسي كاتب الصدر الأعظم السيد برتيف أفندي، يوم 1 ديسمبر 1829، حيث دامت الجلسة حوالي ثلاث ساعات، استهلّ السفير الفرنسي الحديث عن العلاقات التاريخية التي تربط الإمبراطوريتين، ورغبة الملك الفرنسي الحفاظ على الصداقة التي تربطه بالدولة العثمانية، ومن أجل ذلك قال السفير ينبغي على السلطان

العثماني التدخل، لتأديب عامله على ولاية الجزائر⁽¹¹⁾، الذي أهان فرنسا، كما أشار إلى تمرد الداوي الجزائري على السلطان، وكثرة المشاكل التي يقع فيها هذا الوالي مع الدول الأوروبية، وحتى يهئ السفير الفرنسي التوطئة المناسبة لطرح فكرة المشروع، لمّح للفائدة التي سيجنيها من إتاوات تلك البلاد الخصبة، كثيرة الموارد، والتي ستساعده في تأدية ما عليه من ديون اتجاه الإمبراطورية الروسية⁽¹²⁾، وأظهر السفير تفهمه عدم قدرة السلطان توجيه حملة تأديبية في الظرف الراهن، وبعبارات بريئة اقترح على برتيف أفندي، أن السلطان يمكنه اللجوء إلى قوة موالية له، لفرض الطاعة في الأقاليم المتمردة،

وحتى لا يثير شبهة الاتفاق المسبق بين والي مصر، وفرنسا اقترح الجيش المصري، وقال إنه في حالة قبول السلطان هذا العرض، سيسعى لاقناع الملك الفرنسي لتقديم الدعم اللازم لانجاح الحملة التأديبية، كما لم يتوان السفير الفرنسي كعادته في اختتام الجلسة بعبارات تهديدية في حال تماطل السلطان في إيجاد حلٍّ للمشكل، أن تقوم فرنسا بغزو الجزائر⁽¹³⁾ وفي نهاية اللقاء سلم السفير الفرنسي للكاتب مذكرة، تضمنت كل جوانب اللقاء على أمل أن يسلمها للسلطان فيما بعد. وحسب الرسالة التي بعثها السفير الفرنسي إلى رئيس الوزراء الفرنسي فإن برتيف أفندي تابع عرض السفير بكثير من الشغف، والدهشة، واعترف له بأن الداوي الجزائري جلب المشاكل للسلطان، ولكن هذا الأخير لا يريد استعمال القوة معه، بل يفضل الحلول الدبلوماسية. ووعده السفير الفرنسي بنقل انشغالاته كما سمعها للسلطان⁽¹⁴⁾ رغم أن هذا العرض الذي قدمه السفير الفرنسي يبدو في ظاهره يخدم مصالح الباب العالي، إلا أنه قوبل بالرفض من قبل السلطان، حيث تلقى قيومينو عن طريق كاتب الصدر الأعظم السيد برتيف أفندي -السالف الذكر-، رداً بالرفض، وقال السلطان أن الشريعة المحمدية لا تسمح بذلك.

ونعتقد أن سبب رفض السلطان هو ادراج اسم محمد علي في المشروع، الأمر الذي جعله متخوفاً، من تنامي قوة والي مصر، ولاسيما بعد أن أصبح السلطان العثماني لا يثق فيه، وإلا كيف نبرر استعانة السلطان بمحمد علي ضد أتباع محمد بن عبد الوهاب في السابق؟ .

ويبدو أيضاً أن السلطان العثماني رفض العرض، بسبب الضغوطات البريطانية، والنمساوية، حيث تشير المصادر إلى أن الحكومة النمساوية نصحت السلطان بعدم الوثوق في الباشا المصري، - سيكون لنا حديث فيه في موقف النمسا- ، بسبب اطلاعها على المراسلات بين وزارة الخارجية وسفيرها باسطنبول، كما لعبت بريطانيا أيضاً دور كبيراً في إقناع السلطان من أجل رفض المشروع⁽¹⁵⁾.

ومن جهته اقترح السلطان العثماني -لحل الأزمة الدبلوماسية- تشكيل لجنة يقودها السيد طاهر باشا، مفوضاً بصلاحيات واسعة، وهذا ما نفهم منه أنّ الباب العالي لم يكن ليستعمل القوة مع الجزائر مهما كانت الظروف، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ مهمة طاهر باشا تأخرت إلى ماي 1830، أي بعد إلغاء المشروع الفرنسي المصري.

2. موقف طرابلس الغرب (ليبيا):

كانت طرابلس الغرب تحت سلطة الباشا يوسف القرمانلي، وكان هذا الوالي المخضرم يحكم طرابلس منذ أكثر من أربعين عاماً، عرف عنه نصرته للإسلام، والمسلمين، وتذكر المصادر أنّه كان على علاقات جيدة مع الداي حسين، أمّا موقفه من مشروع محمد علي، فقد كان مشرفاً، ففور علمه بمشروع الحملة، بعث إلى حاكم الجزائر، رسالة عن طريق الحاج عمر التميمي، مؤرخة في 17 رمضان 1245 هـ - 12 مارس 1830⁽¹⁶⁾. يحذّر فيها الداي حسين من حملة يدبرها باشا مصر ضد إيالة الجزائر .

ومن جهته رد الداى حسين على رسالة الباشا يوسف، يشكره، ويطلب منه الاستعداد وإعلامه بأي جديد عن الحملة. وقد أورد الفقيه حسن في يومياته، مقتطف من هذه الرسالة التي بعثها الداى حسين، مؤرخة في 19 ذي القعدة 1245 - 11 ماي 1830 « ... بعد السلام والتّحية والإكرام، في هذا شأن ورد علينا خبر من جناب محمد علي والي مصر والإسكندرية بأنه متوجه إلى جانب الوجاقات، تعلم محبنا أنك ترد بالك من روحك ومن بلادك ومن ناسك، ونحن إخوان، وجميع الذي تحتاج لنا عندنا في ذلك زيادة، ونحن مشغولين من جانب اللعين الفرنسي، وعندنا معاه القيرة، ونترجاو فيه، متى يقدم علينا، ولو كان ما عندنا هذا الشغلة، لكننا نرسل لكم ناسنا، ولكن الخيرة في الواقع والسلام... »⁽¹⁷⁾.

ورداً على الرسالة التي بلغته كتب الباشا يوسف رسالة طويلة، مؤرخة ب24 ذي القعدة 1245 - 16 ماي 1830، عرض فيها تفاصيل المشروع المصري الفرنسي، « ... فلتعلمون رعاكم الله، أن قبل هذا الكتاب عرفنا السيادة بجواب مضمونه أن هذه الأخبار وردت علينا من سائر الأقطار، وانكتبت في الكزطات عند القناصل، متحققين وقوعها من الحاصل، وعلى ما قبل أن الحامل لوالي مصر على ذلك أن عدو الله الفرنسي أغراه على أخذ الوجاقات وسهل له الطرق، والمسالك، وتحملوا، له بأن يكونوا في عونته على تتميم الغرض الذي طلب ويستقل بالملك، ويصير سلطان، بفرقة العرب، بعدما التزموا بأن يمدوه بجميع ما يحتاجونه من آلة الحرب، والعساكر، ويوجه معهم ابنه ابراهيم باشا ليتمكنه ولاية الجزائر... »⁽¹⁸⁾.

ويبدو من هذا النص أن الباشا كان على علم بكل تفاصيل المؤامرة، ونعتقد أن القنصل البريطاني بطرابلس، هو الذي أفشى له بهذه المعلومات، كما تحدث الباشا في الرسالة عن أهم التدابير التي اتخذها لصد العدوان، « ... إن عندنا حركة بحرية وبرية ومتهيين لملاقاة صاحب الايالة الشرقية ...

وشرعنا في تجهيز الأمحال، وتحضير ما يلزم من آلات الحرب والقتال وبعثنا لكافة أهل أوطاننا بأن يقضوا لوازم السفر، ويكونوا على بصيرة وحذر - فإذا قدر الله بقدومه، علينا نعارضوه بعساكرنا في حدود العمالة، ونذيقوه وبال أمره ويرجع خائبا إن شاء الله لا محالة ونجازوه بحول الله وقوته بفعله وعلى كل حال فلا يحق المكر السيء إلا بأهله... وإن هو اكتفى بمملكته وتأخر عن الجدل، فهو المراد، وكفى الله المؤمنين شر القتال، ولا نسعى والله إلا في حقن دماء المسلمين ولا مراد أن يكون بين الإسلام سيفين مختلفين...»⁽¹⁹⁾، ومن هذا المقطع يتبين أن الباشا يوسف اتخذ تدابير عسكرية، واحتياطات أمنية مهمة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الرسالة عثر عليها الجيش الفرنسي بمكتب الداى بالجزائر يوم 5 جويلية، وعلى إثرها قامت فرنسا بتوجيه أسطول بقيادة الأميرال روزميل ROSEMEIL نحو طرابلس شهر أوت 1830، حيث أرغم الباشا على توقيع معاهدة مجحفة.⁽²⁰⁾

رابعاً. مواقف الدول الأوروبية

1. موقف بريطانيا:

كانت بريطانيا من أقوى دول العالم حين ذاك، وكانت تتابع -بكثير من الاهتمام- كل تحركات غريمتها الإمبراطورية الفرنسية في أوروبا وخارجها، وبخاصة بعد الأزمة بينها وبين الجزائر 1827- 1829، لما لها من أثر على مصير الملاحة والتجارة في البحر الأبيض المتوسط، ورغم أنها لم تظهر مواقف علنية ورسمية من قضية المروحة، إلا أنها سارعت لتغيير قنصلها في الجزائر، حيث حلَّ القنصل الجديد السيد جان سان Sain- John بمدينة الجزائر، خلفاً للسيد موريس توماس Maurice Thomas ديسمبر 1827،⁽²¹⁾ والذي تشير المصادر أنه كان صديقاً للداي الجزائري⁽²²⁾.

وحين كانت بريطانيا تراقب كل تحركات قناصل وسفراء فرنسا في الدولة العثمانية، وأوروبا، فقد توصّلت عن طريق قنصلها السيد باركر Barker، المقيم بالاسكندرية، إلى بعض المعطيات السرية بشأن المشروع⁽²³⁾، ويبدو أن التحركات المكثفة لقنصل فرنسا ميمو، والكولونيل هودرنحو إقامة الباشا بالإسكندرية قد أثارت الشكوك عند قنصل بريطانيا، الذي استغل طمع بعض حراس، وخدم القصر، في الحصول على معلومات مهمة .

وعلى إثر هذه المعلومات الخطيرة، اتصل رئيس الحكومة البريطانية الدوق ولينغتون duc de Wellington، بالقنصل الانجليزي في اسطنبول السيد غوردن Gordon، يأمره بإعلام الباب العالي أنّ هناك اتفاق مشبوه بين والي مصر الباشا محمد علي، والحكومة الفرنسية، وذلك من أجل إقناع الباب العالي⁽²⁴⁾، بضرورة التحرك لإفشال المشروع، والعمل على حل النزاع الجزائري الفرنسي بطرق سلمية. إذ قدّم غوردن أمام الصدر الأعظم، مقترحاً لإنشاء لجنة -عثمانية فرنسية- لتسوية الخلاف بين الداي الجزائري، والفرنسيين⁽²⁵⁾، وعليه قام الباب العالي بإيفاد السيد الطاهر باشا نحو الجزائر، لأن الإنجليز كانوا متخوفين من اتساع نفوذ فرنسا في شمال إفريقيا. وهذا من شأنه أن يضر بالمصالح البريطانية بالبحر الأبيض المتوسط.

وبصفة رسمية، وجهت الحكومة الإنجليزية استفساراً عن طريق سفيرها بباريس، السيد شارل ستورت Charles Stuart لنظيرتها الفرنسية، عن المشروع، وكان ردُّ الحكومة الفرنسية أنّ الأمر مجرد إشاعة⁽²⁶⁾. أما على الصعيد الخارجي، فعملت بريطانيا في هذا الوقت على توجيه ثقلها الدبلوماسي نحو الدول الحليفة، كالنمسا، وبروسيا، لإقناعهم بمعارضة المشروع، والضَّغط أكثر على فرنسا من أجل التراجع عن الخطة.

2. موقف روسيا:

كانت الإمبراطورية الروسية منذ زمن الإمبراطورة كاترين الثانية (1777- 1798)، تتابع بكثير من الاهتمام قضايا البحر الأبيض المتوسط، وترصد الفرص للوصول إلى مياهه الدافئة، وأسواقه النشطة، وكانت الدولة العثمانية عقبة في وجه هذا الحلم، وازداد هذا الطموح مع وصول الإمبراطور نيكولا الأول Nicholas إلى الحكم، الذي توغلت جيوشه سنة 1829 نحو إسطنبول، مستثمرا في ضعف العثمانيين، ولولا تدخل بريطانيا وفرنسا اللتين أرغمتا روسيا على توقيع معاهدة أدرنة أوت 1829، لسيطر الروس على البوسفور.

وفي هذا الوقت علمت روسيا عن طريق سفيرها بباريس السيد بوزودي بوجو Pozzo di Borgo، الذي أطلعته وزير الخارجية الفرنسي بالمشروع، على أمل أن يضغط الإمبراطور نيكولا على السلطان العثماني من أجل قبول خطة الحملة المصرية على الجزائر⁽²⁷⁾.

أما القيصر الروسي فطمأن نظيره الفرنسي الملك شارل العاشر برسالة مؤرخة في 6 أكتوبر 1829 قال فيها «...مهما كانت الظروف سأدعم مشروعكم بكل قوة...»⁽²⁸⁾، وقد حاول الإمبراطور نيكولا الأول من خلال هذا الموقف أن يعمل على تقوية نفوذ الباشا محمد علي ليضمن صداقته، إن نجح في الاستلاء على شمال إفريقيا، كما يسعى الإمبراطور الروسي إلى كسر شوكة الدولة العثمانية ألد أعدائه في هذه الحقبة من جهة أخرى، ويهدف أيضاً إلى تأييد المشروع إرضاءً لفرنسا التي ستدعمه في مشاريعه التوسعية في البلقان، وحروبه ضد الدولة العثمانية آنذاك.

ولكن بعد مدة قصيرة عدلت الإمبراطورية الروسية موقفها، وأضحت تشكك في قدرات محمد علي لاحتلال الجزائر، وهذا ما يتضح من السؤال الذي طرحه وزير الخارجية الروسي السيد نيسلورد Nesselorde على السفير الفرنسي بسان بطرسبرغ السيد مورتمارت Mortemart «....هل

سيتمكن محمد علي من احتلال الجزائر؟... لم لا تتولون بأنفسكم مهمة القضاء على القراصنة؟...»⁽²⁹⁾ . ويبدو أن سبب تراجع روسيا عن تأييد المشروع هو ظهور معارضة قوية من بريطانيا، وبعض الدول الأخرى، فتخوفت روسيا من صدام إنجليزي فرنسي يعصف بالسلم في أوروبا، وبالتالي أصبح محتملاً عليها التعديل من موقفها اتجاه المشروع ليتناسب والطرح الأوروبي.

3. موقف النمسا:

تابع مترنيخ Metternich مستشار النمسا باهتمام كبير تطورات أحداث النزاع بين فرنسا جارتها الغربية، والجزائر باعتبار هذه الأخيرة تعود تبعيتها إلى الدولة العثمانية جارتها الشرقية، وذلك منذ حادثة المروحة أفريل 1827، ولكن كان مبدأ النمسا في التعامل مع القضية هو الحياد، إذ لم تبد السلطات النمساوية أي موقف إلى غاية ظهور مشروع محمد علي 1829، حيث تشير المصادر التاريخية أن النمسا كانت قد علمت بالمشروع السري عن طريق تجسسها على البريد الفرنسي بين باريس وإسطنبول، والذي كان يمر عبر الأراضي الصربية التابعة لها، وذلك بعد أن اطلع النمساويون على الرسائل التي كان يتبادلها بولنيك وقيمونو، حول المشروع السري بين والي مصر، والحكومة الفرنسية.

وبعد علمها بالمشروع راسلت السلطات النمساوية، السلطان العثماني عن طريق سفيرها بإسطنبول، تحذره من الباشا محمد علي، واتفاقه السري مع الفرنسيين⁽³⁰⁾، كما قامت النمسا بإعلام السفير البريطاني بفيينا، السيد كاولي Cowley⁽³¹⁾ بالموضوع، ويبدو من هذا التحرك المضاد، أن النمسا كانت تريد، إفشال المشروع، لأنها ترى أن حل المشكل الفرنسي الجزائري يجب أن يكون تحت إشراف السلطان العثماني⁽³²⁾. وينبغي أن تحافظ النمسا على

بقاء الدولة العثمانية لاستقرار المنطقة، فزوال هذه الدولة يعطي الفرصة للإمبراطورية الروسية للتغلغل أكثر في البلقان.

وقد تحجج مترنيخ ذو التوجه المحافظ، في ما بعد أمام السيد رينفال Rayneval القنصل الفرنسي بفيينا، بأنه يشك في ولاء الباشا محمد علي، وقدراته العسكرية، مستنيراً بتقرير بروكيش Prokesch⁽³³⁾، كما نعتقد أيضاً أن النمسا كانت تريد أن تتولي فرنسا بنفسها غزو الجزائر، وذلك لإخراج الجيش الفرنسي خارج أوروبا. هذا الجيش الذي لطالما كان مصدر قلق بالنسبة للنمساويين.

4. موقف بروسيا:

لم تكن بروسيا دولة قوية بما فيه الكفاية خلال هذه الفترة (1815-1830)، ولم تكن مواقفها مؤثرة كثيراً، إذ كانت بموقعها البعيد عن المتوسط، غير مهتمة بأحداثه، ولكن سعت دائماً إلى البحث عن حليف قوي كفرنسا، لترافق تجارتها وترعى مصالحها بالبحر الأبيض المتوسط، وعلى هذا الأساس كانت مواقفها مبنية على مدى قوة وضعف مصالحها مع القوى المسيطرة على هذا المجال الحيوي، رغم من إبدائها نوع من الفتور نحو مشروع محمد علي في البداية، إلا أنها سرعانما أيدت المشروع المصري دون شرط⁽³⁴⁾.

وحق تؤكد بروسيا دعمها لفرنسا، طلب السيد برنستوف Bernstorff رئيس الحكومة في برلين من سفير بروسيا بالإسكندرية، أن يُعلم الباشا محمد علي، عن تأييد بروسيا المطلق له في مشروعه لاحتلال الجزائر⁽³⁵⁾. كما سعت أيضاً لإقناع السلطان العثماني، للموافقة على المشروع⁽³⁶⁾.

ولكن بعد مدة تراجع برنستوف، وشكك في قدرة الباشا المصري على اخضاع الجزائر، أمام السفير الفرنسي ببرلين السيد مورتيه Mortier «...كيف يستطيع 20 ألف جندي اجتياز كل تلك المسافة في صحراء قاسية،

وهل سيستطيع 20 ألف الذين سيتم إنزالهم في الساحل من تحطيم الجزائر...»⁽³⁷⁾، ويظهر من هذا الإرتياب أن برلين حذت حذو روسيا، وأبدت نوع من التوافق مع بريطانيا، التي كانت قد مارست ضغوط على بروسيا من أجل افشال المشروع.

5. موقف الفاتيكان وإسبانيا:

كانت الدولة البابوية بروما تمثل الكنيسة الكاثوليكية، التي لها سلطة روحية ودينية على جزء كبير من العالم المسيحي، وخاصة بأوروبا الغربية، وبطبيعة الحال فقد كان للبابا مواقف ممّا يحدث في العالم من مسائل، لاسيما ما تعلق منها بعلاقة القوى المسيحية بالقوى الإسلامية، وتعتبر القضية الجزائرية (1827-1830)، من بين تلك المسائل التي تابعتها كنيسة الفاتيكان بكثير من الإهتمام. أمّا موقف الفاتيكان من مشروع محمد علي فحسب الرسائل التي تبادلها السفير البابوي بباريس والبابا في هذه الفترة، فإن البابا كان غير موافق، على الحملة العسكرية بإشراف محمد علي، فحسبه لا ينبغي أن تستبدل قوة إسلامية ضعيفة بقوة إسلامية قوية، كما اعتبر السفير البابوي بباريس المطران باربريني Barberini المشروع بالعبي⁽³⁸⁾.

أما إسبانيا والتي تعتبر أقرب الدول الأوروبية جغرافيا إلى الجزائر، والتي ارتبطت بعلاقات غلب عليها التوتر والحروب، مع غريمتها المسلمة⁽³⁹⁾، فقد كانت مواقفها حذرة، من القضية، حيث تجنب سالمن Salmon رئيس الحكومة الإسبانية الحديث عن موقف بلاده اتجاه مشروع محمد علي لاحتلال الجزائر، وذلك خوفاً من انتقام الجزائريين⁽⁴⁰⁾.

خامسا. مصير المشروع بعد هذه المواقف:

بعد تفشي أخبار المشروع، وجهت الصحف الفرنسية انتقادات لازعة لحكومة بولنيك، وتساءلت إن كانت فرنسا عاجزة عن تأديب الداي الجزائري حتى استنجدت بمحمد علي⁽⁴¹⁾، كما انتقد بعض البرلمانيين،

والساسة هذا المشروع⁽⁴²⁾، هذا ولم تقتصر المعارضة على السياسيين بل شملت أيضاً العسكريين، حيث أظهر وزير البحرية، الأميرال دي هوسي Baron Comte de Bourmont ووزير الحرب الجنرال دي بورمون D' Haussez معارضتهما الشديدة للمشروع أثناء مناقشته في مجلس الوزراء⁽⁴³⁾. وتوجه دي هوسي بالخطاب للملك شارل العاشر قائلاً «... ربما سيتذكر جلالكم أنني عارضت التعامل مع محمد علي...»⁽⁴⁴⁾، فحسب قادة الجيش الفرنسي، يعتبر باشا مصر وداي الجزائر وجهان لعملة واحدة⁽⁴⁵⁾، وقد ذكرت بعض المراجع أن الأميرال دي هوسي تواعد بولنيك بالاستقالة إذا وافق على المشروع⁽⁴⁶⁾.

بعد هذه المعارضة الداخلية، اتجه المشروع، والمعارضة الخارجية، تم توقيف المفاوضات مع باشا مصر محمد علي، حيث قرر مجلس الوزراء في 31 جانفي 1830، أن تقوم فرنسا بتوجيه حملة عسكرية على الجزائر بمفردها، وفي يوم 6 فيفري أرسل بولنيك السيد دي لنغسدورف De Langsdorf إلى الإسكندرية من أجل إطلاع الباشا محمد علي بالمستجدات، واقترح عليه تقديم قرض قدره 8 ملايين لإخضاع طرابلس وتونس إن هورغب في ذلك، أما الجزائر فستتولى فرنسا شأنها⁽⁴⁷⁾. مع أمل أن تبقى العلاقات المصرية الفرنسية كما كانت سابقاً⁽⁴⁸⁾.

غضب الباشا محمد علي، من هذا القرار الذي تفاجأ به، حيث كان قد أنهى جميع الترتيبات اللازمة لانجاحه، والذي كان بإمكانه أن يجعل من مصر دولة قوية، ولكن لم يتوقف طموح الباشا عند هذا الحد. بل ولى وجهه ناحية المشرق وبدأ الاستعداد لضم بلاد الحجاز والشام.

سادسا. الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة توصلنا إلى النتائج الآتية :

-كانت الرغبة في التوسع، وتحقيق طموحات شخصية، أهم الأسباب التي دفعت الباشا محمد علي، قبول المشروع الذي عرض عليه من طرف الحكومة الفرنسية لاحتلال الجزائر سنة 1829، وفي المقابل كانت فرنسا تحاول من خلال هذا المشروع الإطاحة بالداي الجزائري بأقل الأضرار والتكاليف. لأن ظروفها لم تكن تسمح بتوجيه حملة عسكرية في هذا الوقت. فكان إذا الاتفاق بين الطرفين مرتبط بالمصلحة المتبادلة، فهذا المشروع يرضي غرور محمد علي بالتوسع و تحقيق طموحه في تكوين إمبراطورية عربية ، وفي الوقت نفسه تحقق فرنسا غايتها باستبدال الحكم في الجزائر بحليف قوي، تمنع به الهيمنة البريطانية على المتوسط .

-لقد تباينت مواقف الدول بين متحفظ، ومعارض، ومؤيد للمشروع، وكانت لكل دولة مبرراتها، وأسبابها، فالدولة العثمانية لم تكن موافقة بسبب رغبتها في تقويض قوة محمد علي باشا، الذي أدار ظهره لها في هذه الفترة. أما بريطانيا التي عارضت بشدة هذا المشروع فكان ذلك بسبب تخوفها من التقارب المصري الفرنسي، الذي لا شك أنه يهدد مصالحها التجارية في منطقة البحر المتوسط.

-أما بالنسبة للنمسا التي حذت حذوهم وعارضت المشروع فقد حاولت الحفاظ على الدولة العثمانية الضعيفة، ومنع الإمبراطورية الروسية القوية من السيطرة على مضيق البوسفور، فجار ضعيف خير من جار قوي كما يقال، كما كانت تهدف إلى دفع فرنسا من أجل توجيه حملة عسكرية بنفسها على الجزائر، حتى تخرج الجيش الفرنسي من أوروبا، هذا الجيش الذي كان يشكل مصدر قلق للحكومة النمساوية.

-أما روسيا التي أيدت المشروع في البداية فقد كان موقفها مبني على سياسة التّحالفات والمصلحة، فهي تريد من جهة كسب ثقة محمد علي الذي يشاركها العداء مع الدولة العثمانية، وضمّانه كحليف في المستقبل يرعى

مصالحها في المتوسط، ومن جهة أخرى إرضاء فرنسا لأنها تنتظر منها غض الطرف في حال توسعت في البلقان. أما تحفظها في الأخير كان نتيجة تخوفها من صدام أوروبي أوروبي بسبب عدم توافق الرأي بين بريطانيا وفرنسا في شأن المشروع.

بالنسبة لبروسيا التي كانت سياستها الخارجية تتحكم فيها القوى الكبرى فقد أيدت فرنسا في مشروعها، وعملت عن طريق دبلوماسيتها لإنجاح المشروع ولكن سرعان ما تراجعت بسبب الضغوط البريطانية .
الهوامش :

1 - مصطفى صبري. الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية 1811 1849. ترمضان عطية. المركز القومي للترجمة. القاهرة. 2012. ص 265.

2- JEAN Darcy. *France et Angleterre Cent années de rivalité coloniale*. Perrin. Paris. 1904. p69 .

3- جورج داون. مشروع حملة محمد علي على الجزائر 1829 1830. تر عثمان مصطفى عثمان. المركز القومي للترجمة. القاهرة. ط1. 2010. ص 23.

4- JEAN Darcy. Op-Cit. p 71.

5- Ibid. pp 72 73.

6 - جورج داون. مرجع سابق. ص 180.

7 -رسالة هودر إلى بولنيك 2 ديسمبر 1829. للأطلاع على النص الكامل ينظر جورج دون. مصدر سابق. ص ص 180 192.

8- أبو القاسم عبد الله. محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط3. 1982. ص30.

9 - أرجمنت كوران. السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر. تر: عبد الجليل التميمي. منشورات الجامعة التونسية. تونس. ط1. 1970. ص 45.

10 -نفسه. ص 46.

11- ، نفسه. ص 46.

12- مصطفى صبري، مرجع سابق. ص 267.

13-جورج داون. مرجع سابق، ص 56.

-
- 14 - للاطلاع على النص الكامل للرسالة ينظر جورج داون. مرجع سابق. ص ص 216 211.
- 15 - JEAN Darcy. Op-Cit. pp 78 88 .
- 16- مفتاح غويطة. العلاقات الطرابلسية الجزائرية 1711 – 1830. أعمال الملتقى الدولي الجزائر والعالم العثماني. 28 – 30 نوفمبر 2010. جامعة الأمير قسنطينة. ص 11.
- 17- حسن الفقيه حسن. اليوميات الليبية. تح : محمد الأسطى. مركز جهاد الليبي للدراسة التاريخية. بنغازي. ط2. 2001. ج1. ص ص 469 470.
- 18- للاطلاع على النص الكامل. للرسالة ينظر عبد الحميد زوزو. نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر. موفم للنشر. 2010. ص ص 45 46.
- 19- نفسه. ص 46.
- 20- شارل فيرو. الحوليات الليبية، تر: محمد عبد الكريم الوافي. منشورات قاريونس. بن غازي. ط3. 1994. ص 419 – إتوري روسي. ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911. تر: خليفة محمد التلسي. الدار العربية الكتاب. طرابلس. ط2، 1991. ص 102.
- 21- Play Fair : Annals of British Relations with Algiers, Smith EIDER, London, 1884, p 239 .
- 22- هنري تشرشل. حياة الأمير عبد القادر. تق: أبو القاسم سعد الله. الدار التونسية للنشر. تونس. 1974. ص 10 .
- 23- جورج داون. مرجع سابق. ص 73.
- 24- JEAN Darcy : Op – cit, p 66 .
- 25- أرجمنت كوران. مرجع سابق. ص 50 .
- 26- JEAN Darcy : Op – cit, p 81 .
- 27- جورج داون. مرجع سابق. ص 46 .
- 28- Michel LARAN . la politique Russe et l'intervention Française D'Alger 1829 – 1830 . in Review of Slavic Studies. 1961. p 121 .
- 29 -Louis Jérôme. La question d'Orient sous Louis Philippe. EPHE. Paris. 2004. p 26 .
- 30- أرجمنت كوران. مرجع سابق. ص 51.
- 31- جورج داون. مرجع سابق. ص 74.
- 32- E Marchand. L'EUROPE ET LA Conquêt D'Alger. librairie Académique. Paris. 1923. p 160.
- 33 - جورج داون. مرجع سابق. ص 107.

34- نفسه. ص 107.

35-JEAN Darcy. Op – cit. p 93 .

36- E. Marchand. Op – cit. p 244.

37 - جورج داون. مرجع سابق. ص 107.

38 - فاقليري فيشيا. أرشيف الفتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر. ترحميد عبد القادر. عالم الفكر. الجزائر. 2013. ص 58.

39 - للاطلاع أكثر في الموضوع ينظر: أحمد توفيق المدني. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 1792. دار البصائر. الجزائر. 2009.

40- JEAN Darcy. Op-cit. p 89.

41- ينظر على سبيل المثال لا الحصر العدد 30 جانفي 1830 من صحيفة le constitutionnel .

42- Louis Jérôme. Op-cit. p 26.

43- جورج داون. مرجع سابق، ص 63.

44- D'haussez b. Mémoires. Calmany Edition. Paris. 1897. p 156.

45 -JEAN Darcy. Op-cit. pp 72 73.

46-أبو القاسم سعد الله. مرجع سابق. ص ص 31-32.

47-أحمد الجزائري. كيف دخل الفرنسيون الجزائر وصف شاهد عيان. تق: صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد، بيروت. ط1. 1962. ص 1.

48-كارولين جوتييه. العلاقات المصرية الفرنسية عهد محمد علي 1805-1849 . المركز القومي للترجمة، القاهرة. ط1. 2015. ص 238.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو القاسم عبد الله. محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ط3. 1982.

- إتوري روسي. ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911. تر: خليفة محمد التلسي. الدار العربية الكتاب. طرابلس. ط2، 1991 .

- أحمد الجزائري. كيف دخل الفرنسيون الجزائر وصف شاهد عيان. تق: صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد، بيروت. ط1. 1962.

- أحمد توفيق المدني. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 1792. دار البصائر. الجزائر. 2009.

-
- أُرجمنت كوران. السّياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر. تر: عبد الجليل التميمي. منشورات الجامعة التونسية. تونس. ط1. 1970.
 - جورج داون. مشروع حملة محمد علي على الجزائر 1829 1830. تر عثمان مصطفى عثمان. المركز القومي للترجمة. القاهرة. ط1. 2010.
 - حسن الفقيه حسن. اليوميات الليبية. تح : محمد الأسطى. مركز جهاد الليبي للدراسة التاريخية. بنغازي. ط2. 2001. ج1.
 - شارل فيرو. الحوليات الليبية، تر: محمد عبد الكريم الوافي. منشورات قاريونس. بن غازي. ط3. 1994.
 - عبد الحميد زوزو. نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر. موفم للنشر. 2010.
 - فاقليري فيشيا. أرشيف الفتىكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر. ترجميد عبد القادر. عالم الفكر. الجزائر. 2013.
 - كارولين جوتييه. العلاقات المصرية الفرنسية عهد محمد علي 1805-1849 . المركز القومي للترجمة، القاهرة. ط1. 2015.
 - مصطفى صبري. الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية 1811 1849. تر رمضان عطية. المركز القومي للترجمة. القاهرة. 2012.
 - مفتاح غويطة. العلاقات الطرابلسية الجزائرية 1711 – 1830. أعمال الملتقى الدولي الجزائر والعالم العثماني. نوفمبر 2010. جامعة الأمير قسنطينة.
 - هنري تشرشل. حياة الأمير عبد القادر. تق: أبو القاسم سعد الله. الدار التّونسية للنشر. تونس. 1974.
 - D'haussez b. Mémoires. Calmany Edition. Paris. 1897.
 - E Marchand. L'EUROPE ET LA Conquêt D'Alger. librairie Académique. Paris. 1923.
 - JEAN Darcy. France et Angleterre Cent années de rivalité coloniale. Perrin. Paris. 1904.
 - Louis Jérôme. La question d'Orient sous Louis Philippe. EPHE. Paris. 2004.
 - Michel LARAN . la politique Russe et l'intervention Française D'Alger 1829 – 1830 . in Review of Slavic Studies. 1961.
 - Play Fair : Annals of British Relations with Algiers, Smith EIDER, London, 1884.